

القراءات المروية في إدغام الضاد في غير الطاء والشين

تقدّمت الإشارة إلى إجماع المتقدمين على امتناع إدغام الضاد في غير مثلها، ما خلا الطاء والشين على خلاف فيهما.

ولم يَغرِض المُتَقَدِّمُونَ في باب الإدغام لمرويات في القراءات القرآنية اشتملت على إدغام الضاد في أحرف أخرى هي التاء والذال والجيم والزاء. وفي صنيعهم هذا من الغرابة ما فيه، وفيما يأتي غرض لمواضع هذه المرويات في كتاب الله الكريم.

١ - إدغام الضاد في الذال:

تقدّم أنّ هذا الإدغام مُنْتَنَعٌ عند المتقدمين، غير أنّ ما منعه جاء في الآيات القرآنية في أربعة مواضع:

- قوله تعالى: ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ سورة آل عمران ٩١/٣ .

- قوله تعالى: ﴿يَبْقِصُ دُنُوبَهُمْ﴾ سورة المائدة ٤٩/٥ .

- قوله تعالى: ﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سورة الملك ١٥/٦٧ .

- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّلَاجِ﴾ سورة الطارق ٨٦/١٢ .

أما الآية الأولى: ﴿الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ فقد ذكر ابن غلبون^(١٧٨) أنّ أبا عمرو أدغم الضاد في الذال، ثمّ ذكر أنّ راوي هذا الإدغام القاسم بن عبد الوارث عن البيهقي عن أبي عمرو.

وأما الآية الثانية: ﴿يَبْقِصُ دُنُوبَهُمْ﴾ فقد^(١٧٩) حكى عبد الوارث عن أبي عمرو، وكذا البيهقي عنه أنّه أدغم الضاد في الذال.

وكذا جاء الخبر في الرواية في الآيتين الأخريين^(١٨٠).

٢ - إدغام الضاد في التاء:

منع المتقدمون إدغام الضاد في التاء لاختلاف المخرج بينهما، والصفات اللازمة لكل منهما، غير أن ما منعوا منه جاء في القراءة القرآنية، ومن الغريب في الأمر أن صورة هذا الإدغام انفرد بها ابن محيصن، كالذي تقدّم في «اضطر» ومن ذلك قوله تعالى^(١٨١):

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾.

فقد قرأ ابن محيصن^(١٨٢) بإدغام الضاد في تاء المتكلم مع التشديد، والإبقاء على الإطباق، كذا قالوا.

وجاءت الرواية عن ابن محيصن في ثلاثة مواضع أخرى وهي:

- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ...﴾^(١٨٣).

- قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١٨٤).

- قوله تعالى: ﴿لَمَسْكُورٍ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٨٥).

فقد ذكر صاحب الإنحاف^(١٨٦) أن ابن محيصن انفرد بإدغام الضاد في التاء في الفعلين في ثلاث الآيات: أفضتم - أقرضتم، وصورة القراءة فيهما: أفتم - أقرتم.

ومع هذا الإدغام فإنك بالخيار إن شئت أبقيت صفة الإطباق، وإن شئت تركتها، ويبدو لك ذلك قبيل التصويت بالتاء المشددة الجامعة للحرفين، والتفخيم الذي يلازم هذا، وهو ما يعطي السامع والقارئ سواء بسواء إحساساً

بصفة الحرف الأول - الضاد - الملازمة له مع فثائه في الثاني وهو التاء .

٣ - إدغام الضاد في الجيم؛

لم يذكر المتقدمون جواز مثل هذا الإدغام، ولكن ما لم يذكروه جاء مروياً في القراءة عن أبي عمرو بن العلاء من طريق اليزيدي، وذلك في قوله تعالى^(١٨٧):

﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ .

٤ - إدغام الضاد في الزاي؛

وهذه صورة من صور الإدغام الممتنعة عند المتقدمين لاختلاف المخرج والصفات^(١٨٨)، ولكن هذا الإدغام وَقَعَ في قوله تعالى^(١٨٩): ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾، فقد أَدغم^(١٩٠) أبو عمرو الضاد في الزاي، وراوي ذلك عنه هو اليزيدي .

وليس من النُصْفة السكوت عن هذه القراءات المروية المنقولة بالمشافهة والتلقي عمن شهد له بالفصاحة، وإخراجها من مجال الدُّرس والنُّظَر؛ ذلك أن اعتبارها مع غيرها شرط لكمال فحص الظاهرة استنباط القوانين الحاكمة عليها، وبذلك يفتح باب التحليل والتفسير، كما تتجلى خصوصية الضاد في العربية في ضوء القراءات القرآنية، واشتباك علائقها بغيرها من سائر الحروف إدغاماً وإظهاراً، ولاستظهار ما آل إليه أمرها في الأداء القرآني المعاصر، وذلكم هو موضوع المبحث الخاتم من هذه الدراسة .